في ميزان النقد:

أرض الخطايا

تأليف الأستاذ أمين يوسف غراب

للأستاذ ثروت أباظة

هي مجموعة أقاصيص للقصاص الفنان الأستاذ أمين يوسف غراب. والأستاذ أمين عريق في فن الأقصوصة خبير بأهدافها ذو قلم قوي ... قادر دائما على أن يظهر الملامح الرئيسية التي يريد لها الأستاذ أن تظهر. وتمتاز المجموعة أن أغلب أقاصيصها تهدف كل منها إلى فكرة اجتماعية معينة، والقصاص ذو الفكرة الاجتماعية جريء، والقصاص الذي يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته دون أن يعلن هذا الهدف بالتصريح بل هو يعلنه بالقصة نفسها وبحوادثها وبالحوار فيها، هذا القصاص قدير ... والأستاذ أمين صاحب فكرة اجتماعية، والأستاذ أمين يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته حيث يديرها غير مقيم من نفسه خطيبا اجتماعيا

ياسيدي الأستاذ الجليل:

أرجو أن أخلص من هذه الكلمة وقد استقر لديك أنني لا أنطوي إلا على الحب لك، وأنني أصاب عودا من أن أستتر وأستخفي وأهرب من تبعة ما أقول، وأنني لست من هؤلاء الذين يستذلهم الغرض فيكتبون بعين وينظرون بالعين الأخرى إلى بريقه الوهاج.

والسلام عليك ورحمة الله.

علي متولي صلاح

هو قصاص ذو فكرة إذن.

ان أستطيع ان الم بأقاصيصه جميعا فهي كثيرة لا تستطيع هذه الكلمات الإحاطة بها، ولكنني سأتناول بعضا من الاقاصيص الهادفة إلى فكرة. وقبل هذا التناول لا بد لي أن أذكر أن الأستاذ أمين من الذين يضعون القدر فوق كل شيء، ويلقون اليه بكل مسئولية؛ وهو بعد هذا يهاجه أشد هجوم. ولقد ساق لنا من الأقاصيص ما يجعلنا نجزع من هول ما يصنع هذا القدر. فلقد قتل الأستاذ أمين أمامنا أرواحا بريئة، نعلم براءتها. وقتل دون أن يهدف بقتلها إلى فكرة إجتماعية، إلا أن القدر غلاب. وأعتقد أن الإصرار على هذا يقعد بنا قعودا كاملا عن محاولة الاصلاح، فاذا بيدنا نحن المخلوقات الضعيفة أمام القدر الباطش الفتاك؟ ما الاصلاح الذي يريده الأستاذ أمين بأقصوصته «الدم الأبيض» مثلا ... وما الإصلاح الذي يريده «براعي الغنم»؟ أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه كلها هادفة إلى غرض إجتماعي معين، ولكنني أطلب اليه وأصر أن لا يعرض علينا هذه الصور الوغلة في السواد، فالقصاص على أتم حرية أن لا يهدف إلى إصلاح إجتماعي، ولكنه لا يملك مطلقا الحرية في أن يلقي على أيامنا السواد. وليس على شيء من الحرية في أن يهتف بنا كلما رام أحدنا إصلاحا: أن قفوا فالقدر من ورائكم هادم ما تريدون إقامته، مذل منكم الأعناق. أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه ذات هدف اجتماعي إصلاحي ولكنني أطلب اليه ألا يذكرنا بهذا القدر فتقعد همة تحاول أن تهب، وتخوز عزيمة توشك أن تثب

وللأستاذ أمين أقاصيص بلغت من الكمال مكانا وهي مع ذلك لم تهدف إلى إصلاح إلا أن تطمئن النفس العاملة أن لها أجرها، وإلا أن تبشر من بلاه الله بتشويه في خلقته، أن جمال الروح أثمن من جمال الوجه كما في أقصوصة «حكمة القدر» التي لا بد لقارئها حينما ينتهي منها أن يشعر بأن القدر الغاشم الصاب قد يكون رءوفا كريما.. هي أقصوصة قدرية ولكنها لا تشوه أمامنا القدر ولا تقعد بذي الهمة ولا تخير صاحب العزيمة:

لا بد لى بعد هذا أن أتناول بعضا من تلك الأقاصيص التى هدف فيها الأستاذ أمين إلى فكرة معينة . وإنى لأشايعه فى بعض من هذه الأفكار وأعارضه فى بعض منها آخر ؛ ولكننى عجبت من أربعة مواضع تعارض فيها مع نفسه تعارضا واضحا ؛ فهو فى أقصوصة « وقار التنور » يذكر مقدار الحاجة الملحة للمال وكيف دفعت هذه الحاجة الخباز حارس الفرن أن يلتهم ديكا كان يعد لأحد الباشوات ثم حرق نفسه بعد أكلته . . هو فى هذه الأقصوصة جعل الرجل يدفع حياته كلها فى سبيل أكلة . . الفكرة غريبة بعض الشىء لأن الجوع كان من نفسه سيؤدى بالرجل إلى الموت ، كما أننى أعتقد أن سرقة ديك لا يعاقب عليها بالاعدام الذى حكم به الرجل على نفسه . على أية حال كان الرجل معدما فى أشد الحاجة إلى المال ليأكل ، فسرق وأكل وانتحر .. فى هذه الأقصوصة أظهر لنا عظمة المال وجبروته . ولكنه فى قصة أخرى هى « آفة السعادة » جعل آفة السعادة هى المال نفسه . والحياة بين اثنتين ، إما وجود المال أو عدمه ، فإن كان وجوده تعاسة وإعدامه موتا ، فماذا يرى الأستاذ ؟

أما الموضعان الآخران فهما أشد غرابة فى تعارضهما ؛ فهو فى أغلب أقاصيصه كان يهدف — كما قلت — إلى فكرة اجتماعية جليلة ، ومعنى هذا أنه يرى أن الفن أداة للاصلاح الاجتماعى ؛ بل هو يذهب إلى أبعد من هذا فيجعل بغيته فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ولا يمكن أن يكون مصلحا اجتماعيا إلا إذا كان إنسانا يأكل ويشرب ويتزوج . هو إذن من أنصار النظرية السائدة اليوم أن الفن للمجتمع وليس للفن ، وأن الفنان من المجتمع وإلى المجتمع ، ولكننا بعد هذا نراه فى أقصوصة « ثورة الآلهة » وهى أقصوصة رمزية عن فنانة إنسانة . نرى الأستاذ يوسف يحرمها الزواج ويرفعها إلى مصاف الآلهة ، ويريدها فنانة للفن ، وللفن فقط ممثلا فى المجتمع . وهكذا التوت القصة على نفسها فهى إن كانت تعيش المجتمع فلا بد أن تحس به لتنقل ؛ وإن كانت تعيش للفن فلا بد أن تنقطع عن المجتمع وتستلهم الوحى وحده — إن وجد — وهكذا أيضا تتعارض الأقصوصة مع روح الأستاذ أمين

وقد يقول الأستاذ أمين إنه قصاص ينقل ولا شأن له بالمجتمع وهذا الكلام معقول لو لم تتجه أغلب أقاصيصه إلى ناحية اجتماعية معينة . وهذا القول بطبيعة الحال لا ينطبق مطلقا على الأقصوصة الرمزية ، لأن القصة الرمزية فى أصلها فكرة مجردة فى ذهن القصاص ، وأراد أن يعبر فعبر عنها بقصة فهو رمز ، وهى بخلاف الأقصوصة الواقعية التى هى فى الأصل صورة من الحياة تنقل نقلا ، أو صورة ترسم رسما لتشابه صور الحياة

وبعد فالمجموعة تضم أقاصيص بلغت غاية الروعة . ولا ينقص المجموعة هذه المآخذ الهينة التى أحاول أن آخذها على الأستاذ أمين غراب ، فأقصوصة « الذباح الحكيم » و « مائة دجاجة وديك » و « القناجين الحمر » وغيرها ، كلها أقاصيص تؤكد أن الاسم الذى يتمتع به الأستاذ أمين يوسف غراب إنما يدل على أن صاحبه يستحقه ، ويستحق معه كل إكبار وتجلة

ثروت أباظة

صدر حديثا :

دراسات فى الأدب العربى الحديث

١

القصة

فى الأدب العربى الحديث

تأليف

محمد يوسف نجم

أستاذ فى الآداب (M.A) — الجامعة الأميركية فى بيروت
ماجستير فى الأدب العربى — جامعة فؤاد الأول بمصر

فى لبنان حتى الحرب العظمى

وثمنه أربعون قرشا ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة